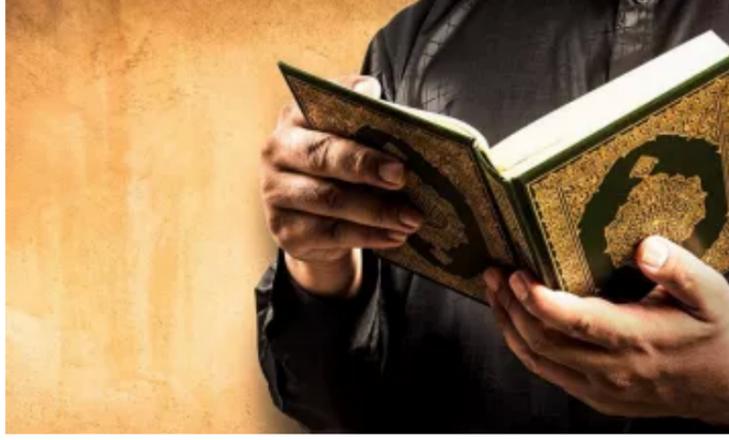


رياض الصالحين - الدرس : 041 - أحاديث تتعلق بفضل قراءة القرآن - قصة إسلام أسيد بن حضير وسعد بن معاذ



1990-06-24 📅

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً، وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أحاديث تتعلق بفضل قراءة القرآن:

أيها الإخوة المؤمنون؛ لازلنا في كتاب رياض الصالحين، واليوم في الباب الذي عنوانه: فضل قراءة القرآن.

الحديث الأول:

((قَالَ عُمَرُ: أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدَ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ الْآخَرِينَ))

[أخرجه مسلم]

معنى ذلك كما قلت في الدرس الماضي، يوم الجمعة: أن هناك مصادر عدّة للمعرفة؛ منها الكون، ومنها الحوادث، لكن القرآن معرفة شاملة، القرآن بيان إلهي، فيه آيات كونية، وفيه مشاهد ليوم القيامة، وفيه وعد ووعد، وفيه تبشير وإنذار، وفيه حكم، وفيه قصص، وفيه أمثال، وفيه أخبار، وفيه موعظيات، وفيه أحكام، إذاً: بيان إلهي، الله عز وجل قال:

﴿ حَرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَالْحُمَّ الْخَنْزِيرِ وَمَا أهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْفُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْوَاجِ لَكُمْ فَسُقُ الْيَوْمِ يَنْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاحْشَوْهُمْ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَنْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (3) ﴾

[سورة المائدة]

الذي يملك أيها الإنسان هو كلام الله عز وجل، أنت مخلوق في أعلى درجات التعقيد؛ نوازع، دوافع، شهوات، ميول، إدراك، طموحات، فطرة، صبغة، كائن من أعقد الكائنات، لا تعقيد عجز بل تعقيد إبداع.

قد تجد طاولة في بيتك، هذه الطاولة غير معقدة، لوح من الخشب، وأربع قوائم، لكن قد تفتح جهاز حاسب إلكتروني، تجد فيه العجب العجائب، تقول: يا أخي شيء معقد، هل تعني بالتعقيد أن الشيء ضعيف؟ لا، بل تعني بالتعقيد شيء عظيم، ترى آلاف الصمامات، التفصيلات، المؤشرات، العدادات، الضوابط، تشعّر بصداع في الرأس من شدة التعقيد، تقول: يا أخي شيء معقد، وتعني بالتعقيد أنه شيء عظيم.

وأنت أيها الإنسان من أعقد المخلوقات في الكون، أنت الإنسان المخلوق المكرم، ولأنك مكرم تحتاج إلى تعليمات، تحتاج إلى منهج، إلى دستور؛ افعل ولا تفعل، لا تنس أيها الأخ الكريم قوله تعالى:

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَيِّنُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (9) ﴾

[سورة الإسراء]

إعجاز القرآن في إيجازه، قال تعالى: (لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) أقوم في أي شيء؟ في كل شيء، إذا طبقت آيات القرآن المتعلقة في الصحة، تهتدي إلى صحة طيبة طوال حياتك، قال تعالى:

﴿يَا بَنِي آدَمُ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (31)﴾

[سورة الأعراف]

إذا اهتديت وطبقت آيات القرآن الكريم في شأن الزواج، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرَاهًا وَلَا تَعْضَلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْنَهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا (19)﴾

[سورة النساء]

آيات كثيرة في الزواج، في الأولاد، في التربية، في التجارة، في البيع، في الشراء، لو طبقت آيات القرآن الكريم في كل شؤون حياتك، لهداك القرآن إلى الحالة المثلى، إلى التي هي أقوم، قال تعالى: **(إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ)** أقول لكم دائماً:

ربما كانت التعليمات أهم من الآلة، ما الذي يؤكد هذا؟ الآلة المعقدة إن استخدمتها من دون تعليمات خربتتها، وإن خفت عليها من العطب، وليس معك التعليمات، وجمدت الآلة، خسرتها، إذًا: التعليمات أخطر من الآلة، ما الذي يؤكد ذلك؟ قول الله عز وجل:

﴿الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3)﴾

[سورة الرحمن]

لماذا قُدِّم تعليم القرآن على خلق الإنسان؟ لأن التعليمات التي جاءت في هذا القرآن الكريم من الخطورة حيث قَدِّمَتْ على وجود الإنسان، فوجود الإنسان من دون هذه التعليمات، وهذه التوجيهات، وهذا المنهج، وجودٌ عابث لا قيمة له، ما قيمة الإنسان وهو كالشاة العائرة بين الأغنام؟ ما قيمة الإنسان وهو كالناقة الحرون؟ ما قيمة الإنسان وهو كالتي تحبب خبط عشواء؟ راقب الناس، راقب الضالين، راقب التائهين، راقب الشاردين، تجد الإنسان ضائعاً، لا يعرف لماذا هو في الدنيا؟ ساعة يُقبل على لذاته ليقتنصها، ساعة يُقبل على جمع الدرهم والدينار، ساعة يكون مع زيد، وأخرى مع عبيد، هذه الحالة؛ التيه والضياع تعبير عن أن هذه الآلة المعقدة ذات الطاقات الكبيرة من دون توجيه، آلة من دون توجيه، كيف أن المركبة إذا انطلقت بسرعة عالية، وليس لها موجه، فالدمار محقق، فإنسان من دون قرآن هلاك، دمار، شقاء، ضياع، قلق، قال تعالى:

﴿الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4)﴾

[سورة الرحمن]

القرآن مقدم على وجودك، لأن وجودك من دون قرآن لا معنى له، ضياع، شقاء، قلق عدوان، انحراف، تجاوز، بغي، خوف، يأس، سوداوية، هكذا. فلذلك: النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام مسلم، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، **((أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ الْآخَرِينَ))** القضية أو لأبادئ ذي بدء: لا شيء مقدم عليك، فقبل أن تهدي الآخرين، عليك أن تهدي نفسك، صدق القائل:

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُعَلِّمُ غَيْرَهُ هَلَا لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمِ

فابدأ بنفسك فانها عن غيرها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

عندئذ إذا قلت، يسمع بقولك، إذا قلت، يقتدى بك، لأنك جنيت بالحقيقة مع البرهان عليها، البرهان عليه؛ سلوكك، تطبيقك، التزامك، فهذا الحديث خطير **((إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا))**.

قوانين القرآن ثابتة:

يعني: إذا قرأت القرآن، وعرفت ما فيه، عرفت مضامينه، عرفت إرشاداته، عرفت توجيهاته، عرفت قوانينه، فكم كنت أتمنى على أختنا الكرام، أن يقرؤوا القرآن، ليكتشفوا القوانين الذي جاء به، القوانين يعني قواعد ثابتة، سنن قطعية، طرائق مُقَنَّنة لا تبدل، لا تتغير، لا تعدل، لا تجمد، لا يضاف عليها، لا يحدف منها، قال تعالى:

﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (64)﴾

[سورة يونس]

﴿وَآتِلْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا (27)﴾

[سورة الكهف]

ما هي كلماته؟ قوانينه، لو سألنا الآن: من يذكر آية فيها قانون؟ تعامل ثابت مع الله، لما خلق الله عز وجل الإنسان، وضع له منهجاً ثابتاً، قواعد صارمة، من يذكر من كتاب الله آية تأخذ معنى القانون؟ السنة الثابتة، القاعدة الأصلية التي لا تتبدل ولا تتغير، ولا تُجمد ولا تعدل.

1- قانون التيسير والتعسير:

الآن تكلم إخونا عن آية، الآية هي قانون التيسير والتعسير، كل واحد منا إذا بدأ بعمل، وجد فيه عقبات، الطريق مسدود، تعسيرات، الجهاز تعطل، الآلة كسرت، ما وجد شخصاً بعد موعد رسمي، ركب السيارة من جهة إلى جهة، سافر إليه، فوجده سافر، ليس هناك شيء أشق على النفس من التعسير، النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (28)﴾

[سورة الرعد]

إن القلوب لتتصدأ، قيل: وما جلاؤها؟ قال عليه الصلاة والسلام: ذكر الله وتلاوة القرآن إذا ضاقت نفس إنسان، شعر بانقباض، لأن الإنسان أحياناً يأتيه انقباض ومعالجة، هذا الانقباض، علاجه تلاوة القرآن، لأنه قد تكون قضية ضاغطة كبيرة، فيقرأ قول الله عز وجل:

﴿يَبْتَئِرُ هُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ (21)﴾

[سورة التوبة]

يرى أن هناك عطاء كبير ينتظره.

أنا مرة ضربت مثل، أعيدته مرة ثانية: لو أن إنساناً دخله ألف ليرة في هذه الأيام، وعنده ثمانية أولاد، وبيته بالأجرة، وعنده أمراض عديدة، ومشكلات كبيرة، وليس له من الدنيا شيء، وله عم غير متزوج، يملك مئات الملايين، ومات فجأة بحادث، فهذه المئات الملايين، صارت إليه بمجرد وفاة عمه، ولكن هذا الإنسان الفقير، لا يستطيع قبض هذه الأموال إلا بعد سنة، إجراءات الإرث وما شاكل ذلك، لماذا هو في هذا العام من أسعد الناس، مع أنه لم يقبض ليرة واحدة، ولم يرتفع مستوى طعامه، ولا درجة، ولا لباسه، ولا بيته، ولا شيء من هذا القبيل؟ لأنه دخل في الأمل، هذا المثل وإن كان صارحاً، وقد يكون غير واقعي، لكنه ينبئ عن شيء.

هذا الإنسان الفقير المديون، الذي عليه ضغط شديد، ثمانية أولاد، دخله ألف ليرة، وبيته بالأجرة، مجموعة أمراض، عليه نفقات أعباء ديون، حينما يشعر أنه امتك فجأة منتني مليون، ولكن لن يقبضها إلا بعد عام مثلاً، ترى في هذا العام مستبشر، كلما رأى شيئاً، طمخ إلى شرائه، يعيش في أحلام ممتعة، هذه أحلام، أما المؤمن يعيش في واقع، قال تعالى:

﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (61)﴾

[سورة القصص]

فالإنسان إذا قرأ القرآن، تأتي آية بشارية، تأتي آية، لما ربنا عز وجل: حكى عن قارون، قال تعالى:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلَا يُلَاقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (80)﴾

[سورة القصص]

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (79)﴾

[سورة القصص]

فإذا وجد نفسه كلما رأى بيت فخم، كلما رأى مركبة فخمة، كلما رأى محلات تجارياً، تذوب نفسه تمنياً لهذا المحل، أو لهذا البيت، يرى نفسه مع أهل الدنيا، القرآن يوجهه: أنه إذا فعلت هذا يا عبدي، فأنت مع أهل الدنيا، مع الذين لا يعلمون، إذاً: كلما ضاق الإنسان، ضاقت نفسه، شعر بإحباط أحياناً، شعر بقضية ضاغطة عليه، إذا قرأ القرآن، انشردت نفسه، واطمأنت، وشعرت بأنها عند الله فائزة، إذاً: **﴿إِنَّ الْقُلُوبَ لَتتصدأ، قيل: وما جلاؤها؟ قال عليه الصلاة والسلام: ذكر الله وتلاوة القرآن﴾﴾** إذاً: **﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ الْآخَرِينَ﴾﴾** قد ترتفع بهذا الكتاب إلى أعلى علبين، لذلك احرص على قراءته، احرص على فهمه، احرص على تطبيقه، هو كتاب العمر، الكتاب المقرر.

إذا واحد دخل لمكتبة، أربعة جدران إلى السقف، كلها كُتُب، وعنده امتحان بعد أسبوع، والمادة أساسية، وهو في الصف الأخير، والمادة الأساسية، وإذا تخرج من هذه الجامعة، عين في منصب رفيع، وتزوج، واشترى، أيقق له أن يقرأ كتاباً آخر غير الكتاب المقرر؟ القرآن الكريم هو الكتاب المقرر، هو كتاب الإنسان، هو كتاب العمر، لذلك النبي عليه الصلاة والسلام، تعوّد من علم لا ينفع، لك أن تقرأ ألف كتاب وكتاب، اختر الكتاب كما تختار الأصدقاء، هذا الكتاب يزيد فهمي للدين، إذاً: أقرأه، هذا الكتاب العلمي يزيد فهمي لآيات الكتاب الكونية، أقرأه، هذا الكتاب يفيدني في كذا، أقرأه، هذا الكتاب لا يعينني، لا أقرأه، إذاً: **﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ الْآخَرِينَ﴾﴾** كل هذا الكلام الآن منصب على أنك: لو قرأت هذا القرآن، وفهمته، وطبقته، أما إذا انطلقت إلى تعليمه، أصبحت عند رسول الله من خير الناس.

﴿حَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ﴾

[أخرجه البخاري في الصحيح وأبو داود الترمذي في سننهما عن عثمان بن عفان]

التعليم، قال تعالى:

﴿مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ (32)﴾

[سورة المائدة]

إذا ذكرت إنساناً بآية قرآنية، شرحتها له، فاستوعبها وتأثر بها، وطبقها، فكانت هذه الآية سلماً له إلى الله عز وجل، إذا أحبيت هذه النفس، فكأنما أحبيت الناس جميعاً، قال تعالى: **﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾** لذلك نحن حتى الآن نقول: إذا قرأته أنت، قرأته لنفسك، وفهمته لنفسك، وطبقته في حياتك، سعدت في الدنيا والآخرة، فكيف إذا أسعدت به الآخرين؟

الحديث الثاني:

((عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ، فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَهُوَ يُنْفِقُهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي]

يعني: إذا كان ممكناً، أن تغبط أخاك المؤمن على شيء، طبعاً هنا المقصود بالحسد الغبطة، الغبطة الحسد المشروع، والحسد المذموم هو أن تستكثر الخير على أخيك، وأن تتمنى أن يزول عنه، هذا هو الحسد الذي نهى الله عنه، قال تعالى:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (1) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (2) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (3) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (4) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (5)﴾

[سورة الفلق]

ولكن علماء الحديث وجهوا هذه الكلمة في هذا الحديث: على أنها الغبطة، والغبطة إذا رأيت أخاك متعلماً لكتاب الله، يجب أن تغار منه، يجب أن تغبطه، أن تبارك له هذا التعلم، وأن تتمنى أن تكون مثله، هذه غبطة، والغبطة مطلوبة ((لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ، فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَهُوَ يُنْفِقُهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ)) إذا كان هناك شخصيتان في المجتمع مرموقتان، تشرئب إليها الأعداء، تطمح إليها الأبطال، إذا كان في المجتمع شخصيتان، يمكن أن تكون هاتان الشخصيتان مرموقتين، معظمتين، مبدلتين، محببتين، يمكن أن نغبط هاتين الشخصيتين، وهما: رجل علمه الله القرآن، فهو يعلمه آتاء الليل وأطراف النهار، ورجل آتاه الله مالا، فهو ينفقه آتاء الليل وأطراف النهار، فلذلك:

﴿وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2)﴾

[سورة العصر]

الزمن يمضي، حركة الزمن تعني: أنك خاسر، لأنه كلما مضى يوم، اقتربت النهاية، والنهاية تعني: انتهاء اللذائذ، الدنيا فيها متاعب، فيها لذائذ، فيها مسرات، فيها طعام، فيها شراب، فيها زوجة، فيها أولاد، فيها جاهة، فيها مكانة اجتماعية، فيها أشياء كثيرة، فيها رحلات، فيها سياحات، فكلما مرَّ عقرب الزمن، اقتربت من النهاية، إذاً: الزمن ليس في صالحك، إذاً: تحرك الزمن يعني أنك في خسارة.

شخص ذهب إلى مكان جميل، كلما انقضى يوم، انقضى بضغ من هذه الرحلة، واقتربت النهاية، فربنا عز وجل قال: ﴿وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2)﴾ علاقتك مع الزمن علاقة خسارة.

حركة عقارب الساعة تعني: أنك في خسارة، تعني: أنك تقترب من النهاية، تعني: أن العمر بدأ بالتناقص، يعني الزمن: هو العد تنازلي، المركبة الفضائية قبل أن يطلقوها يجرون ما يسمى: بالعد التنازلي، يدقون قطعة قطعة في المركبة، فإذا كانت تامة وجاهزة، يقولون مثلاً: إن في المركبة ثلاثة آلاف قطعة، يفحصون القطعة رقم ثلاثة آلاف جاهزة، ألفين وتسعمئة وتسعة وتسعين جاهزة، ألفين وتسعمئة وثمانية وتسعين، وهكذا، هذا اسمه العد التنازلي، إلى أن يصلوا إلى الصفر، وهو يعني إطلاق المركبة، فأنت مع الزمن في عد تنازلي.

لو فرضنا أن إنساناً مكتوب له عند الله، أن يعيش ستين عاماً، فهناك عد تنازلي، أيام بالتقويم، يضعون رقماً مع اليوم، وهذا الرقم من العام، وفي أيام يضعونها أرقام متعكسة، واحد كانون الثاني يضعون الواحد، اثنين اثنين، ثلاثة ثلاثة، رقم تسعين، خمسة وتسعين، يعني مضى من هذا العام خمس وتسعون يوماً. أحياناً بالعكس العد تنازلي، أول يوم من شهر كانون الثاني، يضعون ثلاثمائة وخمسة وستين، اثنين كانون الثاني ثلاثمائة وأربعة وستين، فإما أن تقول: كم من يوم مضى في هذا العام؟ أو كم يوم بقي منه؟ فأنت مع الزمن في عد تنازلي، وكلما استيقظت صباحاً، مضى يوم، نقص عمره يوماً، هذا هو العد التنازلي، فربنا عز وجل قال:

﴿وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ (3)﴾

[سورة العصر]

هؤلاء مستثنون من هذه الخسارة، إذا كان لك في كل يوم تعليم الناس القرآن، أو إنفاق المال، أو عمل صالح، فأنت لست في خسارة.

إذاً: عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ، فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَهُوَ يُنْفِقُهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ)) .

بالمناسبة:

رجل آتاه الله القرآن، يقرأه قراءةً صحيحة، شيء جميل.

إذاً: هو يعلم الناس التجويد، هذا عمل جيد جداً.

إنسان آتاه الله معانيه، إذاً: هو يعلم الناس تفسيره.

إنسان آتاه الله أن يطبقه، وأن يدعو الناس إلى تطبيقه.

فالنبي عليه الصلاة والسلام جعل هذا الحديث مطلقاً: ((رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ)) من أين أتيت القرآن، فأنت رابح، قرأته فأنت رابح، حفظته فأنت رابح، جودته فأنت رابح، فهمته فأنت رابح، درّست علومه فأنت رابح، فسّرتَه فأنت رابح، طبّقته فأنت رابح ((رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ)) المطلق على إطلاقه.

الحديث الثالث:

((عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ كَالْبَيْتِ الْحَرْبِ))

[أخرجه الترمذي في سننه]

بيت حربي مهجور، تشبيه رائع من النبي عليه الصلاة والسلام، تجد كل ثقافته معلومات حياتية، هكذا حدث، هكذا قال فلان، هكذا قيل، بعيد عن القرآن الكريم، أما إذا كان له وعاء مشحون بالمعلومات الدنيوية، الأسعار، الفُرص، المناسبات، اللقاءات، أخبار المجتمع، أسعار البيوت، أسعار الأراضي، الأخبار العالمية يتبعها تماماً، أما إذا أراد أن يقرأ آية واحدة لا يستطيع، هذا بيت حربي، لأنه إذا جاء ملك الموت كل هذه المعلومات لا تعيننا، هذه عملة زائفة ليست رائجة عند الموت، لكن الذي يقرأ القرآن، ويفهمه،

ويحفظه، ويفسره، ويعمل به، هذه عملة رائجة عند الموت، فالنبي عليه الصلاة والسلام يحذرنا أن هذا الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب.

ملاحظة هامة:

هناك موضوع إن شاء الله في الدرس القادم سنبحثه: أن الإنسان إذا قرأ القرآن، وحفظه في مرحلة من حياته، ثم أهمله، فهذا ذنبٌ عظيم، فعلى الإنسان أن يراجع محفوظاته القرآنية من حين لآخر، وإلا عاتبه الله عزَّ وجل، وحاسبه، وأخذه.

((عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تَعَاهَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَهُوَ أَشَدُّ ثَقَلًا مِنَ الْإِبْلِ فِي عُقْلِهَا))

[أخرجه البخاري ومسلم]

إذا أهمل الإنسان محفوظاته القرآنية، ربما ضاعت منه، ووقع في إثم شديد، وله موضوع آخر إن شاء الله تعالى، نأخذه في درسٍ قادم.

أسئلة فقهية:

وردني سؤال في الدرس الماضي، أحب أن أجيب عنه كما وعدت السائلتين.

السؤال هو: هل هناك من مخالفة شرعية لامرأة تزجج حواجبها إذا كانت كثيفة؟.

هذا موضوع مطروح سابقاً، وموضوع يحتاج إلى تفصيل، الإجابة عن هذا السؤال: من الغلو في الزينة التي حرّمها الإسلام، والنمص هو نتف الشعر، هذا من الغلو في الزينة التي حرّمها الإسلام، والمراد بالنمص: إزالة شعر الحاجبين لترفيعهما أو تسويتيهما، لكن الذي أجاب عن هذا السؤال، يتأكد حرمة النمص، إذا كان النمص شعاراً للخليعات من النساء.

في عهد النبي عليه الصلاة والسلام كان بعض النسوة من الخليعات، البغايا، كان هؤلاء النسوة ينتفن حواجبهن، فإذا فعلت امرأة مسلمة هذا الفعل، فإنما تشبّهت بهذه النسوة الخليعات المنحرفات البغايا، لذلك تتأكد حرمة النمص إذا كان شعاراً للخليعات من النساء.

وقال بعض علماء الحنابلة: ((يجوز الحف)) فالحف شيء، والنمص شيء آخر، حف الشارب، وحف الحواجب يعني: ترقيق الحواجب، إذا كان في الحاجب كثافة تؤذي العين ((يقول بعض علماء الحنابلة: يجوز الحف، فيقال: حفت المرأة وجهها أو زينته بإزالة الشعر)) وأخرج الطبري عن امرأة أبي إسحاق، أنها دخلت على عائشة، وكانت شابّة، فقالت: ((المرأة تحف جبينها لزوجها، قالت: أميطي عنك الأذى ما استطعت)) عندنا مبدأ ثابت: أن على المرأة أن تتزين لزوجها، وهذا من أولى واجباتها، لأن النبي عليه الصلاة والسلام قال: ((فليتزوج فإنه أغض للبصر)) ما معنى أغض للبصر؟ أن الزوج إذا رأى امرأته بشكلٍ مُرضٍ ومقبول، من غير شيء منفر، فهذا الوضع يعينه على غض بصره، والمؤمن مأمور بعض بصره في كل الحالات، ولكن الذي يعينه أكثر، الذي يدعو إلى غض بصره، أن تكون زوجته كما يريد، فإذا تزوّت المرأة لزوجها فقط بشكلٍ أنه يرضى عن زينتها، فهذا عمل من صلب الدين للمرأة، وهي مأمورة به، ومحاسبية عن التقصير به، لكن حينما تأتي امرأة مسلمة، لتقلد الخليعات من النساء، المنحرفات، الفاجرات، السافرات، تقلد هذه المرأة المسلمة هؤلاء النسوة الخليعات، فإن في هذا خطأ لمكانتها الإسلامية، أما إذا شاع الشيء بين الناس، وكان مقبولاً عند العفيفات الطاهرات، وكان يرضى زوجها ذلك، وبدل أن تنتف الشعر، إذا زججت حواجبها وحفتهم، فهذا شيء مقبولٌ كما جاء في المذهب الحنبلي. عندنا كليات في الفقه، من أساسيات الفقه: أن المرأة مطالبة بالتزين لزوجها.

سؤال رقم اثنين: صبغ الشعر، وما يتعلق بموضوع الزينة:

صبغ الشعر في الرأس، فقد ورد: أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى، يمتنعون عن صبغ الشيب وتغييره، ظناً منهم أن التجميل والتزيين ينافي التعبد والتدين، والإسلام على عكس ذلك، النبي عليه الصلاة والسلام قال: ((تنظفوا، واستاكوا، تطيبوا، تزينوا لنسائكم)) هذا مطلوب، والمرأة أيضاً مطالبة أن تتزين لزوجها، وفي آية دقيقة بهذا المعنى: ((وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ)) لها حق عند الرجل كما له حق عندها، لذلك النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام البخاري.

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى لَا يَصْنَعُونَ فَحَالُوهُمْ))

[أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما وأبو داود والترمذي والنسائي في سننهم]

إذاً: صبغ الشعر لا شيء عليه، بل هو مستحب، وهذا الأمر للاستحباب كما يدل عليه فعل الصحابة، فقد صبغ بعضهم كأي بكرٍ وعمر، وترك بعضهم مثل علي وأبي بن كعب وأنس.

الشيء الذي أحب أن أذكره هو: أن الإنسان إذا صبغ شعره ليغشّ مخطوبته، أو أن المرأة إذا صبغت شعرها لتغشّ خاطبها، فهذا الشيء نهى عنه النبي عليه الصلاة والسلام، فإذا كان فيه عملية غش وتدليس فهذا لا يجوز، أما إذا كانت عملية تزيين للزوج، فمسموحٌ بصبغ الشعر للرجال والنساء معاً، كما ورد في هذه الأحاديث.

قصة إسلام أسيد بن حضير وسعد بن معاذ.

والآن: إلى بعض سيرة أصحاب رسول الله رضوان الله عليهم.

اليوم سيدنا أسيد بن حضير بطلٌ يوم السقيفة، هذا رجل من زعماء الأنصار، جلس أسيد بن حضير وسعد بن معاذ، وكانا زعمي قومه، يتشاوران في أمر هذا الغريب الذي جاء من مكة يسفه دينهما، ويدعو إلى دينٍ جديد، من هو هذا الغريب الذي جاء من مكة يسفه دين أهل المدينة، ويدعو إلى دينٍ جديد؟ إنه مصعب بن عمير.

هذا الصحابي الجليل الذي أرسله النبي عليه الصلاة والسلام إلى المدينة سفيراً له، وهو أول سفير في الإسلام.

قال سعدٌ لأسيده:

انطلق إلى هذا الرجل فازجره، وحمل أسيدهُ حربته، وأغذ السير إلى حيث كان مصعب في ضيافة أسعد بن زرارة من زعماء المدينة الذين سبقوا إلى الإسلام.

سيدنا مصعب بن عمير سفير النبي عليه الصلاة والسلام، أوفده النبي إلى المدينة، ليعلم الناس الإسلام، ونزل في ضيافة أسعد بن زرارة، وجاء الآن أسيد بن حضير ليزجره عن هذه الدعوة.

وعند مجلس مصعب وأسعد بن زرارة، رأى أسيد جمهرةً من الناس، تصغي في اهتمامٍ للكلمات الرشيدة التي يدعوهم بها إلى الله مصعب بن عمير، وفاجأهم أسيد بغضبٍ وثورةٍ، وقال له مصعب، دققوا في هذا اللفظ:

من أمر بمعروف، فليكن أمره بمعروف، المسلم لطيف، المسلم له ظلٌ خفيف، قال له مصعب: هل لك في أن تجلس فتستمع؟ فإن رضيت أمرًا قبلته، وإن كرهته كفنا عنك ما تكره.

كلام منطقي، اسمع يا أخي، الإنسان قبل أن يرفض، عليه أن يسمع، قبل أن يهاجم، عليه أن يتحقق، قبل أن يشتم، عليه أن يتبصر،

قال له: يا أخي اجلس فاستمع، فإن رضيت أمرًا قبلته، وإن كرهته كفنا عنك ما تكره.

كان أسيد رجلاً مستنير العقل، ذكي القلب، حتى لقبه أهل المدينة بالكامل، وهو لقبٌ كان يحملُه أبوه من قبله، فلما رأى مصعباً يحتكم به إلى المنطق والعقل، غرس حربته في الأرض، وقال لمصعب: لقد أنصت، هات ما عندك.

الموقف الآن، سيدنا مصعب بن عمير كان منطقيًا، وأديبًا، ولطيفًا، هكذا الدعوة إلى الله، يا أخي استمع، قيل أن تهاجم أقرأ، قبل أن ترفض استمع إلى هذا الشريط، تعال استمع إلى هذا الدرس، اسمع يا أخي قبل أن تحكم غيابياً، قبل أن تنتهم، قبل أن تهاجم، قبل أن تجرح، قبل أن تهرف في ما لا تعرف، تحقق، قال تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ)** قال له: والله لقد أنصت، هات ما عندك.

وراح مصعب يقرأ عليه من القرآن، ويفسر له دعوة الدين الجديد، الدين الحق الذي أمر محمدٌ عليه الصلاة والسلام بتبليغه، يقول الذين حضروا هذا المجلس: والله لقد عرفنا في وجه أسيد الإسلام قبل أن يتكلم، عرفناه في إشرافه وتسهله.

أحياناً تجد وجهًا يتألق إذا سمع آية، تفسير آية، تفسير حديث، تأثر فتألق الوجه، أصبحت العينان زنبقتين، هناك إشراف بوجهه، وابتسامه الرضا.

فقالوا: والله لقد عرفنا في وجه أسيد الإسلام قبل أن يتكلم، عرفناه في إشرافه وتسهله، ولم يكد مصعب ينهي حديثه، حتى صاح أسيدٌ مبهوراً: ما أحسن هذا الكلام، وما أجمله!

يا إخوان؛ الحق مثل الغذاء تماماً، الحق كلام ربنا عز وجل، القرآن مادبة الله عز وجل، فإذا أكل إنسان من مادبة الله.

قال: والله ما أحسن هذا الكلام وأجمله! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟

ماذا أفعل؟ انشرح قلبه.

فقال له مصعب: تطهر بدنك وثوبك، وتشهد الشهادة الحق، ثم تصلي.

طبعاً الصحابي الجليل سعد بن معاذ كان على دين آبائه، فأرسل أسيدٌ بن حضير كي يزجر سيدنا مصعب بن عمير عن دعوته، وهو ينتظره.

الآن: رجع أسيد بن حضير إلى سعد بن معاذ، نظر إلى وجهه، وقال: أقسم لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به.

قبل أن يتكلم، قبل أن ينطق بكلمة، وجد وجهًا مشرقاً، فيه راحة، فيه طمأنينة، لأن الحق مسعد، فقد ذهب حانقاً، حاقداً، متألماً، فيه بغض، وعاد بوجه مشرق.

قال: والله أقسم لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به.

فقال أسيد: أجل، نعم.

هناك شيء بسيدنا أسيد، كان ذكياً جداً، لو قال لسيدنا سعد بن معاذ: اذهب فأسلم كما أسلمت، ربما لا يرضى، قد يحقن، قد يهاجمه، فأراد بأسلوبٍ ذكي، أن يجره إلى سيدنا مصعب.

الآن: أراد سيدنا أسيد من سعد بن معاذ، أن يجره إلى سيدنا مصعب، وكان مصعب، كما ذكرنا، ينزل ضيفاً على أسعد بن زرارة، وأسعد بن زرارة هو ابن خالة سعد بن معاذ، هناك قال أسيد لسعد: لقد خدثت أن بني حارثة، قد خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه، وهم يعلمون أنه ابن خالتك، يريد سحبه لعند مصعب.

وقام سعدٌ تقوده الحمية والغضب، وأخذ الحربة، وسار مسرعاً إلى حيث أسعد ومصعب، ومن معهما من المسلمين، ولما اقترب من المجلس لم يجد وضوءاً، ولا لغطاً، وإنما هي السكينة تغشى جماعةً، يتوسطهم مصعب بن عمير، يتلو آيات الله في خشوع، وهم يصغون إليه في اهتمامٍ عظيم، هناك أدرك الحيلة التي نسجها له أسيد، لكي يحمله على السعي إلى هذا المجلس.

أحياناً هذه لها معنى، يكون الإنسان متفانياً في الحق ومنافعاً، لكن الله ما آتاه القدرة على إقناع الآخرين، القدرة على الإقناع، القدرة على البيان، القدرة على التفصيل، التوضيح، هذه قدرة الله عز وجل، يؤتيها من يشاء من عباده، فإذا أراد المسلم أن يهدي الآخرين، وليس عنده إمكانية، عنده أسلوب واحد، هو أن يأتي بهم إلى المسجد، أقنعه أن يأتي ليصلي معك العشاء في المسجد أو المغرب.

فسيدنا أسيد ماذا فعل مع سيدنا سعد؟ جلبه إلى المسجد، وهنا أدرك الحيلة التي نسجت له، ولقد صدقت هذه الفراسة، فكما كاد سعد يسمع حتى شرح الله له صدره للإسلام، وأخذ مكانه بسرعٍ بين المؤمنين.

سيدنا مصعب جاء للمدينة سفيراً، آمن به جماعةٌ كثر، وهؤلاء الجماعة أضيف إليهم سيدان من سادة الأنصار؛ أسيد بن حضير، وسعد بن معاذ.

من مواقفه:

الموقف الأول:

أيها الإخوة؛ عندنا مشكلة، هذا ابن أبي زعيم المنافقين، هذا الذي كره النبي عليه الصلاة والسلام، وتحدث عنه بما لا يرضي الله عز وجل، وكان خصماً عنيداً له، السبب: أن هذا الرجل كان على وشك، أن يتوج ملكاً على المدينة، فلما جاء النبي عليه الصلاة والسلام ذهب ملكه، فصار عنده حقد.

أنا أعجبني من موقف سيدنا أسيد، أنه لما قال هذا المنافق الكبير أوز عيم المنافقين:

لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعراس منها الأذل، قال أسيد: فأنت والله يارسول الله تخرجه منها إن شاء الله، هو والله الذليل وأنت العزيز. كأنه طمأن النبي، والتمس له العذر.

قال له: يارسول الله ارفق به، فوالله لقد جاءنا الله بك، وإن قومه لينظمون له الخرز، ليتوجوه على المدينة ملكاً، فهو يرى أن الإسلام قد سلبه ملكاً. هذا الكلام لطيف مع رسول الله، يعني هذا الرجل يعاديك، وأنت الأعرس، وهو الأذل، لكن له وضع نفسي خاص، هذا كان على وشك أن يكون ملكاً، فلما جاء الله بك خسر ملكه بهذا الإسلام، كأنه أعطاه تبريراً طيباً، أو أعطاه شيئاً من العذر بهذا الموقف المعادي.

فالإنسان ليس له حق أن يؤجج، له الحق أن يبهر، المسلم يبهر ولا يؤجج، عارضك شخص، أو تكلم عليك، وليس له حق في الكلام عليك، هذا يسيء، أنت أججته أكثر، هذا له وضع خاص، مزعوج من قضية، إذا وجدت خصومة، فالمفروض أن تهفف ولا تكبر، تصغر الأمر.

هناك أشخاص يكبرون، وأشخاص يخفون، أما هذا الموقف فقد أعجبني، قال:

يارسول الله ارفق به، فوالله لقد جاءنا الله بك، وإن قومك لينظمون له الخرز، ليتوجوه على المدينة ملكاً. فهو يرى أن الإسلام قد سلبه ملكاً.

موقف آخر له:

آخر موقف لهذا الصحابي الجليل، لما صار الخلف بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام على الخلافة، بعض الأنصار طالبوها لأنفسهم، وبعضهم طالبوها لسيدنا الصديق، ماذا قال أسيد؟ خاطب الأنصار فقال:

تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من المهاجرين، فخليفته إذاً ينبغي أن يكون من المهاجرين، ولقد كنا أنصار رسول الله عليه الصلاة والسلام، وعلينا اليوم أن نكون أنصار خليفته، وكانت كلماته برداً وسلاماً في هذا المجلس.

لذلك سماه علماء السيرة: بطل يوم السقيفة، بهذه الطريقة اجتمع الشمل، والتأم الجميع، وبايعوا سيدنا الصديق.

قال: أنتم الأنصار، يجب أن تكونوا أيضاً أنصار خليفة رسول الله.

وتوفاه الله عز وجل، وقال وهو على وشك الموت: اصبروا حتى تلقوني على الحوض، كان في ساعة بشرى من الله عز وجل.

و الحمد لله رب العالمين

00:00/00:00